# السباب

## من خصال الجاهلية

إعداد أ د /

محمد أبو النور الحديدى

عميد الكلية

Scanned with CamScanner

# السباب من خصال الجاهلية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد ورضى الله عن آله وأصحابه أجمعين .

## أولاً : حرمة سب المسلم بما ليس فيه

إن المسلم الحق عف اللسان ، طيب الكلام ، لا يسب مسلماً آخر، ولا يشتم من كان من أهل الإيمان ، لأن سب المسلم بغير حق ووصفه بعيب ليس فيه حرام بإجماع الأمة ، وفاعله محكوم عليه بالفسق والعصيان .

ويدل على حرمة سب المسلم بغير حق ، وفسق فاعله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** " (١).

وقد قال الإمام النووى فى شرح الحديث : السب فى اللغة: الشتم ، والتكلم فى عرض الإنسان بما يعيبه ، والفسق فى اللغة: الخروج ، والمراد بغير حق حرام بإجماع الأمة ، وفاعله فاسق، كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم . وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفراً يخرج به عن الملة إلا إذا إستحله وعلى هذا فالحكم بكفر من يقاتل مسلماً محمول على واحد من ثلاثة :

الأول : أنه فيمن إستحل قتال أخيه المسلم .

Scanned with CamScanner

الثانى : أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام ، لا كفر الجحود .

الثالث : أنه يشبه فعل الكفار . (١)

كما أن سب المسلم بغير حق يؤذيه ويؤلم نفسه ويجرح كرامته، وإيذاء المسلم حرام والإساءة إليه عصيان لله تعالى يتحمل بها الساب إثما مبيناً .

لقوله تعالى ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا** ﴾ (٢) ، ومعلوم أيضا أن عرض المسلم على المسلم حرام ، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " **كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله** " (٣)

**والعرض** : هو موضع المدح ، والذم من الانسان وهو أعم من أن يكون فى نفسه أو نسبه أو حسبه .

ومما يدل على قبح سب المسلم أنه من خصال الجاهلية ، فقد أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : انى سابيت رجلا فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك أمرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان

---

(١) شرح النووى على مسلم – جـ ٢ – صـ ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٥٨ .

(٣)

أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم " (١).

والربذة : موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل ومعنى"عليه حلة وعلى غلامه حلة " أن أبا ذر رضى الله عنه سوى بينه وبين غلامه فى الملبس فكانت حلة الغلام نظير حلة أبى ذر ، لا تمتاز حلة أبى ذر عن حلة غلامه بشىء وهذا غير مألوف ، إذ المألوف أن يمتاز ملبس الإنسان أو مسكنه أو مركوبه عما هو لخادمه أو أجيره ، أو غلامه ، ولذا سأل المعرور بن سويد شاهد الواقعة وراوى الحديث أبا ذر عن السبب فى إلباسه غلامه حلة نظير حلته فأجابه أبو ذر بحكاية القصة التى كانت سبباً لذلك وهى : أنه ساب رجلاً . يقال أنه بلال المؤذن رضى الله عنه ، وعيره بأمه . وفى إحدى الروايات أنه قال له : يا إبن السوداء . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إنك إمرؤ فيك جاهلية أى خصلة من خصال الجاهلية ويظهر أن ذلك كان من أبى ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده فلهذا قال كما فى رواية أخرى ذكرها البخارى فى الأدب ـ قلت على ساعتى هذه من كبر السن ؟ قال : نعم كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه ، فلما عرف أبو ذر أن هذا الذى وقع منه مذموم شرعاً أخذ يساوى غلامه بنفسه فى الملبس وغيره أخذاً بالأحوط ، وإن كان لفظ الحديث يقتضى إشتراط المواساة لا المساواة (٢) .

---

(١) صحيح البخارى – جـ ١ – صـ ٨٤ .

(٢) فتح البارى – جـ ١ – صـ ٨٧ .

Scanned with CamScanner

ومن هذا يتأكد لنا قبح سب الغير وشناعة تعبيره ، وأن ذلك محرم فى الإسلام حتى ولو كان ذلك الغير خادماً أو أجيراً عند الإنسان ، فالخادم والأجير لكل منهما حرمته ، وتجب رعاية مشاعره الإنسانية وكرامته الآدمية ، وأخوته الإيمانية كما نطق بذلك الحديث فى قوله " إخوانكم خولكم " فخولكم وهو خدمكم إخوان لكم فى الإنسانية وفى الدين ، فراعوا حق الأخوة وعاملوهم بالرفق ولا تسبوهم ولا تعيروهم .

## ثانيا: سب المسلم بما هو فيه

إن حكم سب المسلم بما هو فيه ، بأن يقول له مثلاً : أنت أحمق أو سفيه أو ظالم أو فاسق ، وكان متصفاً بذلك فعلاً ، فإن لذلك حالتين :

الأولى : أن يقصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله ، وذلك جائز .

الثانية : أن يقصد تعييره وتنقيصه بذلك ، وهذا لا يجوز .

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : فى هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز ، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز ، لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما فى طبع كثير من الناس من الأنفة ، لا سيما إن كان الآمر دون المأمور فى المنزلة [١].

وهناك حالة أخرى ينبغى أن نعرضها وهى ترك سب الغير بما فيه خشية أن يسبك . وذلك بأن تعرف فى إنسان صفة يعاب بها وترغب فى نصحه ليقلع عنها ، ولكن تخشى إن واجهته بهذا أن يتناولك بسب مقزع ، وشتم بالباطل وأن يصفك بعيب ليس فيك ففى

---

(١) فتح البارى - جـ ١ - صـ ٤٦٦ .

Scanned with CamScanner

هذه الحالة تترك سبه من قبيل ترك المصلحة لدفع مفسدة أكبر وأرجح وقد أخذ هذا من الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل : يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ، قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (١) .

**قال ابن بطال** : هذا الحديث أصل فى سد الذرائع ، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل ، وإن لم يقصد إلى ما يحرم والأصل فى هذا الحديث (٢) .

قوله تعالى **﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون ﴾** (٣).

وفى هذه الآية نهى للمسلمين أن يسبوا معبودات المشركين من أصنام وغيرها وأن كان فى سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التى هى أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد ، فلذلك نهوا عن سب الأصنام.

ويقول ابن كثير فى تفسيره هذه الآية : يقول تعالى ناهياً لرسوله والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه

---

(١) صحيح البخارى - جـ ١ - صـ ٤٠٣ .

(٢) فتح البارى - جـ ١٠ - صـ ٤٠٤ .

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٠٨ .

يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهى مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لاإله إلا هو ، قال على بن أبى طلحة عن إبن عباس فى هذه الآية قالوا : يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ﴿ **فيسبوا الله عدوا بغير علم** ﴾ .

وقال عبد الرازق عن معمر عن قتادة : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدوا بغير علم فأنزل الله ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله** ﴾ .

وروى ابن جرير وإبن أبى حاتم عن السدى أنه قال فى تفسير هذه الآية : لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش إنطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا إبن أخيه فإنا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب : كان يمنعهم فلما مات قتلوه ، فإنطلق أبوسفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبى ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاصى والأسود بن البحترى ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب قالوا : إستأذن لنا على أبى طالب ، فأتى أبا طالب ، فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم، فدخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وأن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك قال رسول الله ما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطى كلمه أن تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج ، قال أبو جهل ، وأبيك

Scanned with CamScanner

لنعطينكها وعشرة أمثالها قالوا : فما هى ؟ قال : قولوا لا إله إلا الله
فأبوا وإشمأزوا وغضبوا وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك
ونشتمن من يأمرك ، فذلك قوله ﴿ **فيسبوا الله عدوا بغير علم** ﴾ .

**وقال القرطبى** : فى هذه الآية مسائل :

**الأولى** : قوله تعالى ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله** ﴾
نهى ﴿ **فيسبوا الله** ﴾ جواب النهى ، فنهى سبحانه المؤمنين أن
يسبوا أوثانهم لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار ، وإزدادوا كفراً .

**قال ابن عباس** : قالت كفار قريش لأبى طالب إما أن تنهى
محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها ، وإما أن نسب إلهه
ونهجوه ، فنزلت الآية .

**الثانية** : قال العلماء حكمها باق فى هذه الأمة على كل حال،
فمتى كان الكافر فى منعة وخيف أن يسب الإسلام ، أو النبى عليه
الصلاة والسلام ، أو الله عز وجل فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم
ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض إلى ما يؤدى إلى ذلك، لأنه
بمنزلة البعث على المعصية ، وعبر عن الأصنام وهى لا تعقل بـ "
الذين " على معتقد الكفرة فيها .

**الثالثة** : وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى
إلى ضرر يكون فى الدين ، وفى هذا المعنى ما روى عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه أنه قال لا تبتوا الحكم بين ذوى القرابات

Scanned with CamScanner

حال . وإن كان جائزاً ففيه يكون هذا القول [1] .

وقوله ﴿ كذلك زينا لكل أمة عملهم ﴾ معناه : كما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها ، والإنتصار ، كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذى كانوا فيه .

ومعنى ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ثم إلى ربهم معادهم ومصيرهم" فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ فيخبرهم بأعمالهم ، ويجازيهم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر [2] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله القرطبى - جـ ٧ - صـ ٦١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير - جـ ٢ - صـ ١٦٤ .

Scanned with CamScanner

## ما ينبغى أن يكون عليه المسبوب عندما يوجه إليه السب

إن الإنسان يتألم كثيراً إذا وجه إليه السب ، وأوذى بالشتم والتنقيص ، ووصف بعيب ليس فيه ، ولذا فإنه يغضب ، لأن فى البشر قوة غضبية تتحرك عند وجود ما يحركها وتثار عند توفر الدواعى والمثيرات . ولكن المؤمن القوى الإيمان يملك نفسه عند الغضب .

كما يرشد إلى ذلك الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** " (١).

**والصرعة** : هو الذى يصرع الناس ويغلبهم . وعلى هذا فقوة الإنسان ليست بقوة عضلاته وقدراته على أن يصرع الآخرين ويغلبهم ، وإنما بإمتلاكه نفسه عند دواعى الغضب ومثيراته ثم أن المؤمن الحق يعلم أن الغضب يفرح به الشيطان ويزكى ناره، ويعمل على مضاعفته وأن مما يُهدىء من ثورة الغضب ويخفف منه أن يتعوذ الغاضب بالله من الشيطان الرجيم . وقد علم نبينا صلى الله عليه وسلم المسلمين ذلك . فالمسلم الحق يسارع بالإمتثال والتعوذ بالله من الشيطان فتهدأ نفسه ، ويسكن غضبه ، والمنافق أو العاصى يرفض ذلك فيستمر غضبه ويزداد هيجانه وإنفعاله .

---

(١) صحيح البخارى - جـ ١٠ - صـ ٥١٨ .

Scanned with CamScanner

روى الإمام البخارى فى صحيحه بسنده عن سليمان بن صرد قال : إستب رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما، فإشتد غضبه حتى إنتفخ وجهه وتغير فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذى يجد فإنطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبى صلى الله عليه وسلم وقال : تعوذ بالله من الشيطان ، فقال : أترى بى بأس (أى أتظن بى خلل فى العقل) أمجنون أنا ، إذهب [١]. ، أى قال الرجل الغضبان للرجل الذى نصحه بالتعوذ من الشيطان إمض فى شغلك ، فلا شأن لك بى حيث لم يعجبه نصحه .

ويقول ابن حجر فى فتح البارى : وأخلق بهذا المأمور أن يكون كافراً أو منافقاً أو كان غلب عليه الغضب حتى أخرجه عن الإعتدال بحيث زجر الناصح الذى دله على ما يزيل عنه ما كان به من وهج الغضب بهذا الجواب السيىء وقيل : إنه كان من جفاة الأعراب وظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون ولم يعلم أن الغضب نوع من شر الشيطان ولهذا يخرج به عن صورته ويزين له إفساد ماله كتقطيع ثوبه وكسر آنيته ، أو الإقدام على الإضرار بمن أغضبه ونحو ذلك مما يتعاطاه من يخرج عن الإعتدال [٢] .

هذا . وحكم السباب المتبادل الواقع بين شخصين بأن بدأ أحدهما ورد عليه الآخر أن إثم السباب يقع على البادىء منهما إذا إقتصر الثانى على قدر ما قال له الأول ، فإن زاد الثانى عما قال له الأول فقد إشتركا فى الإثم البادىء والراد . يفيد هذا حديث مسلم الذى رواه

---

(١) صحيح البخارى - جـ ١٠ - صـ ٤٦٥ .

(٢) فتح البارى - جـ ١٠ - صـ ٤٦٧ .

Scanned with CamScanner

بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم (١) .

قال النووى فى شرحه على صحيح مسلم : معنى الحديث أن إثم السباب الواقع من إثنين مختص بالبادىء منهما إلا أن يتجاوز المظلوم قدر الإنتصار فيقول للبادىء أكثر مما قاله له وفى هذا جواز الإنتصار ، ولاخلاف فى جوازه ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة .

قال تعالى ﴿ ولمن إنتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ (٢).

وقال تعالى ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ (٣)

ومع هذا فالصبر والعفو أفضل قال تعالى ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (٤) .

وللحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " مازاد الله عبداً يعفو إلا عزا " (٥) .

وإعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام ، كما قال صلى الله عليه وسلم " سباب المسلم فسوق " ولايجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ماسبه ما لم يكن كذباً ، أو قذفاً أو سباً لأسلافه ، فمن صور

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٠ - صـ ١٤١ .
(٢) سورة الشورى - الآية ٤١ .
(٣) سورة الشورى - الآية ٣٩ .
(٤) سورة الشورى - الآية ٤٣ .
(٥) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٤١ .

Scanned with CamScanner

المباح أن ينتصر بيا ظالم ، يا أحمق ، يا جافى ، أو نحو ذلك ، لأنه لايكون أحد ينفك عن هذه الأوصاف .

قالوا : وإذا إنتصر المسبوب إستوفى ظلامته وبرىء الأول من حقه وبقى عليه إثم الإبتداء أو المستحق لله تعالى وقيل : يرتفع عنه جميع الإثم بالإنتصار منه ويكون معنى " على البادىء " أى عليه اللوم والذم لا الإثم [1].

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يحب لأصحابه الأفضل وهو العفو وعدم الإنتصار ، ولهذا فإنه عندما سب رجل أبا بكر الصديق مرتين وأبو بكر رضى الله عنه لايرد عليه ظل الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجلسه مما يشعر بإرتياحه ورضاه عن صنيع أبى بكر، فلما رد أبو بكر فى الثالثة وإنتصر من الرجل الذى آذاه .

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجلس ، لأنه ترتب على إنتصار أبى بكر لنفسه إنصراف الملك الذى كان يرد على الرجل السباب وحضور الشيطان ولا يجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى مجلس فيه الشيطان .

روى هذه الحادثة أبو داود فى سننه عن سعيد بن المسيب أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر فآذاه ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة ، فإنتصر منه أبو بكر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين إنتصر أبو بكر فقال أبو بكر:

---

) شرح النووى على مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٤١ .

) سنن إبى داود - جـ ٧ - صـ ٢٢٢ .

Scanned with CamScanner

أوجدت على يا رسول الله (أى أغضبت) فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك ، فلما إنتصرت
ذهب الملك وجاء الشيطان ، فلم أكن لأجلس إذا قعد الشيطان (١).
ورواية أبى داود هذه مرسلة ، وقد روى الحديث الإمام أحمد متصلاً
عن أبى هريرة .

(١) سنن أبى داود - جـ ٧ - صـ ٢٢٢ .

Scanned with CamScanner

## رابعاً : سب نبينا مسلماً على أى وجه يحمل

إن لنا فى نبينا صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، فقد كان يصون لسانه عن السباب والفحش واللعن كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه " لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ماله ترب جبينه " (١) .

**والسب** : هو نسبة الإنسان إلى عيب ما ، والفحش : كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل فى القول والفعل والصفة لكن إستعماله فى القول أكثر ، واللعَّان : هو الذى يكثر الدعاء على غيره بالإبعاد من رحمة الله تعالى ، ومعنى " ترب جبينه " خر وسقط لوجهه فأصاب التراب جبينه ، وقد قال العلماء : إن هذه الكلمة وأمثالها تجرى على اللسان ولا يراد حقيقتها .

وقد كان يحدث فى النادر أن يغضب النبى صلى الله عليه وسلم من إنسان فيدعو عليه أو يضربه أو يسبه وهذا يكون كفارة لهذا الإنسان يوم القيامة وقد اتخذ نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك عهداً عند الله ، وذلك من شفقته على أمته ، ورحمته بالمسلمين وقد جاء ذلك فى أحاديث متعددة أخرجها الإمام مسلم فى صحيحه منها ما رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فإجعلها له ذكاة ورحمة " (٢) .

---

(١) صحيح البخارى - جـ ١٠ - صـ ٤٦٤ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٥١ .

Scanned with CamScanner

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإنى قد إتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فإجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة " (١) .

وهذان الحديثان وغيرهما فى معناهما - قد علق عليهما الإمام النووى رحمه الله تعالى بقوله : هذه الأحاديث مبينة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته والإعتناء بمصالحهم، والإحتياط لهم والرغبة فى كل ما ينفعهم . وإنما يكون دعاؤه عليه رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلاً للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلماً وإلا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك لهم رحمة . فإن قيل : كيف يدعو على من ليس هو بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك فالجواب ما أجاب به العلماء وهو من وجهين :

أحدهما : إن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الأمر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله عليه وسلم إستحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون فى باطن الأمر ليس هو أهلاً لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٥٣

والثانى : أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصودبل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلانية كقوله : تربت يمينك ولا كبر سنك [١].

وفى حديث معاوية : لا أشبع الله بطنه [٢] ونحو ذلك لا يقصدون بشىء من ذلك حقيقة الدعاء ، فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شىء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب

---

(١) قد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا على يتيمة كانت عند أم سليم كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كانت عند أم سليم يتيمة وهى أم أنس ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليتيمة فقال آنت هيه لقد كبرت لا كبر سنك ( أى لا طال عمرك ) فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكى ، فقالت أم سليم مالك يا بنية ، قالت الجارية : دعا رسول اله صلى الله عليه وسلم أن لا يكبر سنى ، فالآن لا يكبر سنى أبداً ، أو قالت : قرنى فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث خمارها ( تديره على رأسها ) حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله : مالك يا أم سليم ؟ قالت زعمت أنك دعوت أن لا يكبر سنها ، ثم قال : يا أم سليم أما تعلمين أن شرطى على ربى أنى إشترطت على ربى فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة يقربه بها يوم القيامة " ( صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٥٤ ، ١٥٥ ) .

(٢) ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على معاوية أن لا يشبع الله بطنه ، قد جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن إبن عباس رضى الله عنهما قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال فجاء فحطأنى حطأة ( الحطأة الضرب باليد مبسوطة بين الكتفين ) قال : ثم قال لى : إذهب فأدع لى معاوية ، قال فجئت ، فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، ( صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٥٥ ، ١٥٦ ) قال النووى وإنما فعل النبى صلى الله عليه وسلم هذا بإبن عباس ملاطفة وتأنيساً وأما دعاؤه على معاوية حين تأخر أن لا يشبع ففيه جوابان أحدهما : أنه جرى على اللسان بلا قصد ، والثانى أنه عقوبة له لتأخره .

وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه فلهذا أدخله فى هذا الباب ، وجعله من مناقب معاوية ، لأنه فى الحقيقة يصير دعاء له ( شرح النووى على مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٥٦ ) .

Scanned with CamScanner

إليه فى أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً وإنما كان يقع هذا منه فى النادر والشاذ من الأزمان ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا لعاناً ولا منتقماً لنفسه (١).

ومما هو قريب من هذا سب الوالد ولده ظاناً أنه قصر فيما طلب منه وفى الحقيقة لم يقصر الولد ، وإن عفو الله تعالى يتسع للوالد فى هذه الحالة ومن ذلك ما حدث من أبى بكر الصديق رضى الله عنه عندما غضب على ولده عبد الرحمن وسبه وشتمه ظاناً أنه قصر فى تقديم الطعام لضيفه ثم تبين له أن الضيف هم الذين رفضوا أن يأكلو من الطعام حتى جاء صاحب البيت أبو بكر رضى الله عنه.

وقد روى هذه القصة البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال " جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له ، فأمسى عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء قالت أمى : إحتبست عن أضيافك الليلة قال : أو ما عشيتهم ؟ قالت : عرضنا عليهم فأبوا فغضب أبو بكر ، فسب وجدع وحلف لا يطعمه فإختبأت أنا ، فقال : يا عنثر (أى يا غبى يا جاهل) فحلفت المرأة لا تطعمه حتى يطعمه فحلف الأضياف أن لا يطعموه حتى يطعمه فقال أبو بكر : كأن هذه (أى يمينه أن لا يأكل) من الشيطان ، فدعا بالطعام، فأكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فقال : يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ فقالت : وقرة عينى إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل فأكلوا وبعث بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه أكل منها (٢)

---

(١) شرح النووى على مسلم – جـ ١٦ – صـ ١٥٢ .

(٢) صحيح البخارى – جـ ١٠ – ص ...

## خامساً : الإسلام يحذر من سب الأموات عامة والصحابة خاصة

إن الإنسان إذا مات فإنه يكون أمام عمله الذى عمله فى الدنيا ويصل إلى جزاء ما أسلف من خير أو شر إن كان محسناً نال جزاء إحسانه وإن كان مسيئاً لقى جزاء إساءته .

قال تعالى ﴿ **ولله ما فى السماوات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ (١) .

ولذا لايصح شرعاً سبه ولا ذكر مساويه عملاً بقول نبينا صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى عن عائشه رضى الله عنها " لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا " (٢) أى وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر .

**وقد ذكر العلماء** : أن الميت الكافر يجوز ذكر مساويه إلا إذا تأذى بذلك المسلم الحى ، فيمنع منه ، وأما الميت المسلم فلا يجوز ذكر مساويه إلا لضرورة كالشهادة عليه بأن يكون ظلم إنساناً فى حياته مثلاً وطلب منى الشهادة عليه بعد موته ، فإنى أشهد بما أعلم ولو كان فى هذا ذكر له بالسوء كذلك من الضرورة التى تبيح ذكر مساوىء الميت التحذير من الإنخداع به كأن يكون من رواة الأحاديث وأعلم فيه صفة سيئة من كذب أو فسق أو إتباع هوى فلا مانع من ذكر ذلك تحذيراً من الإغترار به لإجماع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتاً (٣) .

---

(١) سورة النجم – الآية ٣١ .

(٢) صحيح البخارى – جـ ٣ – صـ ٢٥٨ .

(٣) فتح البارى – جـ ٣ – صـ ٢٥٩ .

Scanned with CamScanner

وأما صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم فإنهم خير الناس وأزكى الناس ، أثنى عليهم ربهم وإمتدحهم ورضى عنهم ورضوا عنه كما كتابه الكريم .

قال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

ومعنى الآيتين :

للفقراء الذين تركوا الديار والأموال ، والأهلين ، وهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة في الدين ونصرة له ، وقد أخرجهم كفار مكة منها بأن إضطروهم إلى الخروج ، فخرجوا طالبين من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا ، وبالرضوان في الآخرة ، وقاصدين نصرة الله ورسوله بجهاد الكفار وهم بتلك الصفات يكونون كاملين في الصدق راسخين فيه .

ثم مدح تعالى الأنصار ــ بعد أن مدح في الآية السابقة المهاجرين ــ فأخبر عنهم بأنهم تبوأوا المدينة وهي دار الهجرة ، وتمكنوا من الإيمان تمكناً شديداً ، وتبوأهم المدينة كان قبل هجرة المهاجرين إليها ، وهؤلاء الأنصار يحبون المهاجرين ، ولهذا أحسنوا إليهم ، وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ، ولا يجد الأنصار في

(١) سورة الحشر – الآيتان ٨ ، ٩ .

Scanned with CamScanner

صدورهم حسداً وغيظاً وحزازة مما أوتى المهاجرون دونهم فى الفىء ، بل طابت أنفسهم بذلك .

وكان المهاجرون فى دور الأنصار ، فلما أفاء الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الأنصار ، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين فى إنزالهم إياهم فى منازلهم ، وإشراكهم فى أموالهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبين المهاجرون ، وكان المهاجرين على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم والمشاركة لكم فى أموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم ، فرضوا بقسمة ذلك فى المهاجرين ، وطابت أنفسهم .

ويقدم الأنصار المهاجرين على أنفسهم فى حظوظ الدنيا رغبة فى حظوظ الآخرة ولو كان بهم حاجة وفقر .

ومن يوق شح نفسه بشىء من الأشياء التى يقبح الشح بها شرعاً من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك ، فأولئك هم الفائزون، الظافرون بكل مطلوب [1].

وقال الله تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراه. ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فإستغلظ**

---

(١) فتح القدير لمحمد بن على الشوكانى - جـ ٥ - صـ ٢٠٠ ، ٢٠١ .

Scanned with CamScanner

فإستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ به الكفار وعد الله الذين آمنوا : وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ (١) .

والمعنى : محمد رسول الله والذين معه وهم عموم الصحابة وقيل هم أصحاب الحديبيه غلاظ على الكفار كما يغلظ الأسد على فريسته متوادون متعاطفون فيما بينهم ، فهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرافة ، تراهم راكعين ساجدين ويطلبون ثواب الله لهم ورضاه عنهم وتظهر علامتهم فى جباههم من أثر السجود فى الصلاة وكثرة التعبد بالليل والنهار .

وقال الضحاك إذا سهر الرجل أصبح مصفراً فجعل هذا هو السيما ، وهذه الصفات الطيبة وصفهم الذى وصفوا به فى التوراة .

ووصفهم الذى وصفوا به فى الإنجيل كزرع أخرج طرفه فقواه وأعانه وشده فسار ذلك الزرع غليظاً بعد أن كان دقيقاً فإستقام على أعواده ويعجب هذا الزرع زارعه لقوته وحسن منظره . وهذا ضربه الله سبحانه لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأنهم يكونون فى الإبتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع ، فإنه يكون فى الإبتداء ضعيفاً ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم وتقويته لهم فقال : ليغيظ بهم الكفار أى كثرهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين وقد وعد سبحانه هؤلاء الذين مع النبى محمد صلى الله عليه وسلم أن يغفر ذنوبهم ويجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التى هى أكبر نعمة وأعظم منة (٢) .

---

(١) سورة الفتح - الآية ٢٩ .

(٢) فتح القدير للشوكانى - جزء ٥ - صـ ٥٥ ، ٥٦ .

Scanned with CamScanner

وقال تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين إتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ (١).

يقول النسفى فى معنى هذه الآية السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين ، أو الذين شهدوا بدراً ، أو بيعة الرضوان والسابقون الأولون من الأنصار هم أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين .

والذين إتبعوهم بإحسان من المهاجرين والأنصار هم سائر الصحابة وقيل هم الذين إتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة، هؤلاء السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين إتبعوهم بإحسان أخبر الله عنهم بأنه رضى عنهم بأعمالهم الحسنة ورضوا عنه بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم . (٢)

ويقول ابن كثير أخبر الله العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين إتبعوهم بإحسان ، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعنى الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر إبن أبى قحافة رضى الله عنه فإن الطائفة المخزولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم- عياذا بالله من ذلك - وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من

---

(١) سورة التوبة - الآية ١٠٠ .

(٢) تفسير النسفى - جزء ٢ - صـ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

Scanned with CamScanner

رضى الله عنهم ، ولما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضى الله عنهم ويسبون من سبه الله ورسوله ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون ،ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون . (١).

وقال الله تعالى ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيز حكيما ﴾ (٢) .

تتحدث هذه الآية ، وآيات أخرى فى سورة الفتح – عن بيعة الرضوان وسببها أن نبينا صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه خرجوا من المدينة فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة ، متجهين إلى مكة معتمرين ، لا يريدون حرباً ، حتى بلغ الحديبية ، ثم أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً البيت ، ومعظماً حرمته ، فإحتبسته قريش عندها ، وأشيع بين المسلمين أن عثمان قد قتل ، فصمم رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة القوم ، ودعا المسلمين معه إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت شجرة فى الحديبية .

أخرج البخارى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قيل : على أى شىء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال : على الموت " (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير – جزء ٢ – صـ ٣٩٨ .

(٢) سورة الفتح – الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٣) صحيح البخارى – جـ ٧ – صـ ٤٤٩ .

Scanned with CamScanner

ولقد رضى الله تعالى عن المؤمنين الذين بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم هذه البيعة لما علمه فى قلوبهم من الصدق والإخلاص فى المبايعة ، ولذا أنزل عليهم الطمأنينة ، وسكون النفس ، ورباطة الجأش ، وأعطاهم جزاء طاعتهم وإخلاصهم فتح خيبر عقب إنصرافهم من الحديبية ، وعوضهم فى العاجل مما رجوا الظفر به من غنائم أهل مكة بقتالهم ـ فتح خيبر ، فأخذوا أموال يهودها، وعقارهم وكان كثيراً ، وخصها بأهل بيعة الرضوان . لا يشركهم فيها سواهم .

وكان الله تعالى ذا عزة فى إنتقامه ممن إنتقم من أعدائه، حكيماً فى تدبيُر أمور خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء من قضائه . (١)

ولعظم مكانة الصحابة رضوان الله عليهم ، وعلو منزلتهم، ورفعة شأنهم عند الله ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبهم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" (٢) .

والنصيف : النصف . ومعناه : لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ ثوابه فى ذلك ثواب نفقة أحد أصحابى مداً ولا نصف مد ، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت فى وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان فى نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته، وذلك غير متوفر بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم .

---

(١) تفسير المراغى للشيخ محمد مصطفى المراغى - جـ ٦ - صـ ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ٩٢ .

Scanned with CamScanner

وقد قال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وال
أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا
الحسنى والله بما تعملون خبير ﴾ . (١).

هذا مع ما إتصفوا به من الشفقة والتودد والخشوع والتواض
والإيثار والجهاد فى الله حق جهاده وفضيلة صحبة نبينا صلى الله
عليه وسلم فى المحل الأرفع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وعلى
هذا فسب أحد الصحابة من المعاصى والكبائر حتى الذين لابسوا
الفتن منهم ، لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون وكانت لكل
طائفة منهم شبهة إعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول ولا
يخرج شىء من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون إختلفوا
فى مسائل من محل الإجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل
من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم . ذكر ذلك
النووى فى شرحه على صحيح مسلم وقال : إن سبب تلك الحروب
أنَّ القضايا كانت مشتبهة فلشدة إشتباهها إختلف إجتهادهم ، وصاروا
ثلاثة أقسام ، قسم ظهر لهم بالإجتهاد إن الحق فى هذا الطرف ، وأن
مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما إعتقدوه،
ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة أمام
العدل فى قتال البغاة فى إعتقاده وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم
بالإجتهاد إن الحق فى الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال
الباغى عليه ، وقسم ثالث إشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ، ولم
يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين ، فإعتزلوا الفريقين ، وكان هذا
الإعتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم

---

(١) سورة الحديد – الآية ١٠ .

Scanned with CamScanner

حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته فكلهم معذورون ، ولهذا إتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله عنهم . (١)

(١) شرح النووى على مسلم - جـ ١٥ - صـ ١٤٩ ، ، جـ ١٦ - صـ ٩٣ .

Scanned with CamScanner

## سادساً: نهى الإسلام عن سب الدهر

كان أهل الجاهلية ينسبون الأحداث والمصائب والإحياء والإماتة إلى الدهر فإذا ما ضجروا مما أصابهم من مكروه سبوا الدهر، وكان مما يقولون : بؤساً للدهر ، وتباً للدهر ، وقد جهلوا أن هذا يسخط الله تعالى ، فإنه رب الدهر ومنشىء الليل والنهار ، ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر ، فمن سب الدهر من أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذى هو فاعلها وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لهذه الأمور .

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار. (١)

وقال ابن حجر فى الفتح : أخرج الطبرى الحديث السابق عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار هو الذى يميتنا ويحيينا فقال الله فى كتابه :

﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (٢) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار . (٣)

---

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى - جـ ٨ - صـ ٥٧٤ .

(٢) سورة الجاثية - الآية ٢٤ .

(٣) فتح البارى - جـ ٧ - صـ ٥٧٥ .

Scanned with CamScanner

وقال الشيخ أبو محمد ابن أبى حمزة : لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب صانعها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى ، ومن سب ما يجرى فيها من الحوادث وذلك هو أغلب ما يقع من الناس ، وهو الذى يعطيه سياق الحديث حيث نفى عنهما التأثير ، فكأنه قال . لا ذنب لهما فى ذلك وأما الحوادث فمنها ما يجرى بواسطة العاقل المكلف فهذا يضاف شرعاً ولغة إلى الذى جرى على يديه ويضاف إلى الله تعالى لكونه بتقديره ، فأفعال العباد من إكسابهم ولهذا ترتبت عليها الأحكام ، وهى فى الإبتداء خلق الله، ومنها ما يجرى بغير وساطة فهو منسوب إلى قدرة القادر وليس لليل والنهار فعل ولا تأثير لا لغة ولا عقلاً ولا شرعاً وهو المعنى فى هذا الحديث ويلتحق بذلك ما يجرى من الحيوان غير العاقل ثم أشار بأن النهى عن سب الدهر تنبيه بالأعلى على الأدنى وأن فيه إشارة إلى ترك سب كل شىء مطلقاً إلا ما إذن الشرع فيه لأن العلة واحدة . (١).

---

(١) فتح البارى - جـ ١٠ - صـ ٥٥٦ .

Scanned with CamScanner

## سابعاً: نهى الإسلام عن سب الريح

الريح مخلوقة لله تعالى مؤتمرة بأمره إذا شاء الله لها أن تسكن سكنت وإذا شاء لها أن تعصف عصفت ولكن بعض الناس يغفل عن ذلك ، فتراه إذا إشتد هبوبها فنازعته ثيابه أو أطارت شيئاً من متاعه أو أعاقته عن السير والتنقل فإنه يسبها من شدة غضبه وحدة إنفعاله وأحياناً يلعنها وكلا ذلك خطأ جسيم وعمل أثيم ، إذْ لا ذنب للريح في هبوبها وعصفها ، ولا فيما يترتب على ذلك من أضرار وخسائر ثم إن على المسلم أن يتذكر أن الريح كما تأتى بالضرر والشر تأتى بالرحمة والخير فهى التى تسوق السحاب الثقال بالماء إلى الأماكن التى هى بحاجة إلى الماء فينزل الله تعالى الماء فتنبت الأرض النبات وتخرج الثمرات بإذن ربها ، فينعم الإنسان ويأكل الحيوان .

قال تعالى ﴿ **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات** ﴾

﴿ **كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون** ﴾ (١).

والمعنى أن الله هو الذى خلق السموات والأرض وهو الذى يرسل الرياح التى تبشر بالمطر - والريح هو الهواء المتحرك بمنا ويسره والرياح يرسلها الله أمام المطر الذى هو رحمة والمطر لأنه سبب لحياة الأرض الميتة فالرياح تتقدم المطر وتؤذن به وهى التى

---

(١) سورة الأعراف - الآية ٥٧ .

Scanned with CamScanner

تحمل السحاب المثقل بالماء وتسوقه إلى بلد ميت جدب لا نبات فيه محتاج للماء فينزل الله الماء بالبلد الميت فتحيا الأرض وتنبت فيها أصناف الزرع والثمرات وكما يحيى الله البلد الميت يخرج تعالى الموتى أحياء من بعد فنائهم ودروس آثارهم .

فكما أحيا الله تعالى هذا البلد الميت بعد خرابه وموته فأنبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ورمماً بالية ، لأن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم إلى حشرهم ونشرهم .

والخطاب فى قوله ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ لمنكرى البعث يقول إنكم شاهدتم الأشجار وهى مزهرة مورقة فى أيام الربيع والصيف ثم إنكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ، ثم إن الله تعالى أحياها مرة أخرى فالقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأجساد بعد موتها والوصف بما ذكر فى الآية من التشبيه والتمثيل لكى تعتبروا وتتذكروا وتعلموا أن من فعل ذلك كان هو الذى يعيد ويحيى . (١).

وقد جعل الله تعالى الريح رحمة للمسلمين وبلاء على الكافرين يوم الأحزاب حيث آذتهم ببردها وأفزعتهم بعصفها وصفيرها وأطفأت نيرانهم وقلبت قدور طعامهم . وقلعت خيامهم فرأوا أن يسارعوا بالإنسحاب ، وقرروا أن يظفروا من الغنيمة بالإياب ،

---

(١) تفسير لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن - جزء ٢ - صـ ١٠٠ .

Scanned with CamScanner

وإنطلقوا عائدين إلى ديارهم يسرعون الخيل والركاب ، وإنهزم بذلك

الأحزاب .

قال تعالى فى ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾(١).

يقول ابن كثير فى تفسيره يخبر تعالى عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين فى صرفه أعداءهم وهزمهم إياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وذلك أن الله عز وجل أرسل على الأحزاب وهم قريش وغطفان ومن تبعهم ريحاً شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق خيمة ولا شيىء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى إرتحلوا خائبين خاسرين ، وهذه الريح كما قال مجاهد الصبا ويؤيده الحديث" نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " (٢) . والجنود التى لم يروها هم الملائكة زلزلتهم وألقت فى قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بنى فلان إلىّ فيجتمعون إليه فيقول النجاء ، النجاء لما ألقى الله عز وجل فى قلوبهم من الرعب .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شىء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ " قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا " قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الريح " . وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبى عامر العقدى (٣) وقد أهلك

---

(١) سورة الأحزاب - الآية ٩ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ٦ - صـ ١٩٧ .

(٣) تفسير ابن كثير - جـ ٣ - صـ ٤٧٠ : ٤٧٢ .

Scanned with CamScanner

الله تعالى بالريح عادا قوم هود عليه السلام وكانوا بالأحقاف حين رفضوا أن يعبدوا الله تعالى وحده وإستهانوا بتحذير نبيهم إياهم من العذاب على كفرهم كما قال تعالى :

﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما إستعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ (١).

والمعنى : فلما رأى قوم هود عليه السلام السحاب عارضاً بادياً فى عرض السماء متوجهاً نحو أوديتهم إستبشروا فقد كان المطر حبس عنهم أياماً ـ وقالوا هذا غيم فيه مطر فأجابهم هود عليه السلام قائلاً بل هو العذاب الذى إستعجلتم به حيث قلتم فإتنا بما تعدنا وهذا العذاب ريح فيها عذاب أليم تهلك كل شيء مرت به من نفوس عاد وأموالها بقضاء الله تعالى وقدره فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم بعد ذهاب أنفسهم وأموالهم ، ومثل ذلك الجزاء نجزى القوم المجرمين الذين يكونون على نهج عاد . (٢) وعن شدة هذه الريح وقوتها وإستئصالها عادا يقول الله تعالى فى سورة الحاقة :

﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتيه . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأحقاف – الآيتان – ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) فتح القدير للشوكانى – جـ ٥ – صـ ٢٣ .

(٣) سورة الحاقة – الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

Scanned with CamScanner

والريح الصرصر هى الشديدة البرد وقيل الشديدة الصوت والعاتية الشديدة الهبوب وقد سلطها الله على عاد سبع ليال وثمانية أيام تحسمهم حسوما فتفنيهم وتذهبهم فترى القوم فى هذه الليالى والأيام موتى يشبهون أصول النخل الساقطة الخالية التى لا جوف فيها . قال يحيى ابن سلام : إنما قال خاوية لأن أبدانهم خلت من أرواحهم مثل النخل الخاوية فلا ترى لهم نفساً باقية بل ماتوا كلهم جزاء لهم على كفرهم وتكذيبهم نبى الله هودا عليه السلام . (١).

أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم ، وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف فى وجهه ، قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر ، وأراك إذا رأيته عرف فى وجهك الكراهية ؟ فقال:يا عائشة ما يؤمنى أن يكون فيه عذاب ؟ عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا " . (٢)

فالريح ترسل بالرحمة وترسل بالعذاب وهى مسخرة بقدرة الله عز وجل فلا يصح أن يسبها الإنسان لأنها منقادة لأمر ربها وإنما المطلوب من المسلم عندما يرى الريح أن يسأل الله خيرها وأن يستعيذ بالله من شرها .

روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " الريح من روح الله (أى رحمته

---

(١) فتح القدير - جزء ٥ - صـ ٢٨٠ .

(٢) صحيح البخارى - جزء ٨ - صـ ٥٧٨ .

بعباده) تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها ، وإستعيذوا بالله من شرها " . (١)

ولنا فى نبينا صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد كان إذا عصفت الريح يسأل الله خيرها ، ويستعيذ بالله من شرها .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح (أى إشتدت) قال : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) . (٢)

---

(١) سنن أبو داود - جزء ٨ - صـ ٤ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ٦ - صـ ١٩٦ .

Scanned with CamScanner

## ثامنا: نهى الإسلام عن سب ولعن الحيوان

إن الرفق بالحيوان مأمور به فى ديننا ، ولن لنا فى إطعامه وسقيه أجراً ، وفى المقابل نهينا عن القسوة عليه وتعذيبه ، وعن إجاعته أو إعطاشه ، ونتحمل على ذلك وزراً كبيراً ذلك أن الحيوان يحس بالألم إذا ضرب أو عذب أو منع عنه الطعام أو الشرب ثم هو لا ينطق بالشكوى ، ولا يستطيع الكلام والتعبير عما يحس به من الألم أو التعب أو الجوع أو العطش ، ومع هذا وذاك فإن الله تعالى قد سخره لنا ، وملكنا إياه ، وجعل إلينا التصرف فيه ، فعلى بنى آدم أن يتقوا الله فى البهائم والحيوانات التى سخرها الله لمنافعهم وذللها لهم فضلاً منه وإنعاماً .

قال تعالى ﴿ **الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون . ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون** ﴾ (١).

يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم ، فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ، ويحمل عليها الأثقال فى الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار البعيدة ، والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحرث عليها الأرض ، والغنم تؤكل ويشرب لبنها ، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها ، فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة .

---

١) سورة غافر - الآيات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

Scanned with CamScanner

وعلى الإبل فى البر ، وعلى السفن فى البحر تسافرون وتحملون أثقالكم من بلد إلى بلد ويريكم الله تعالى حججه وبراهينه فى الآفاق وفى أنفسكم ، فأى آيات الله تنكرون . إنكم لا تقدرون على إنكار شيىء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا . (١)

ومثل الأنعام غيرها من الحيوان الذى ينتفع به الإنسان ، فى وجوب تقوى الله فيه بإطعامه وسقيه ، وعدم القسوة عليه وتعذيبه .

قال تعالى ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (٢) .

وإن على بنى آدم أن يرفقوا بالحيوان ، وأن يحسنوا معاملته ، وليعلموا أن لهم على الرفق به وإطعامه وسقيه أجراً ومثوبة .

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " بينا رجل يمشى ، فإشتد عليه العطش، فنزل بئراً ، فشرب منها ، ثم خرج ، فإذا هو بكلب يلهث (٣) ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ثم رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ قال: فى كل كبد رطبة أجر " (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير - جـ ٤ - صـ ٩٦ . (٢) سورة النحل - الآية ٨ .

(٣) اللهث : إخراج الكلب لسانه من العطش أو الإعياء ، والثرى : تراب الأرض ، ومعنى " رقى " صعد ومعنى " شكر الله له " قبل عمله ، وجازاه عليه ، والمراد بقوله " فى كل كبد رطبة " فى كل ذى حياة .

(٤) صحيح البخارى - جـ ٥ - صـ ٤٠ ، ٤١ .

Scanned with CamScanner

كما أن الإنسان يتحمل وزر ما يؤدى به إلى دخول
بقسوته على الحيوان وتعذيبه بالجوع والعطش ، فقد روى البخ
بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله
الله عليه وسلم قال " عذبت إمرأة فى هرة حبستها حتى ماتت
فدخلت النار قال فقالوا - والله أعلم - لا أنت أطعمتها ولا سقيتها
حبستها ، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض " (١).

والخشاش : الحشرات كما فى مختار الصحاح .

هذا وقد ورد النهى عن لعن الحيوان فى أحاديث منها ما ر
مسلم فى صحيحه بسنده عن عمران بن حصين قال : بينما رس
الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وإمرأة من الأنصار ع
ناقة فضجرت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وس
فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة "

قال عمران : فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض له
أحد " (٢)

ومعنى " ضجرت " تضايقت من صعوبة الناقة .

وفى حديث آخر عند مسلم عن أبى برزة الأسلمى قال : بينما
جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبى صلى الله
عليه وسلم وتضايق بهم الجبل فقالت : حلْ " وهى كلمة لزجر الإبل"

(١) صحيح البخارى - جـ ٥ - صـ ٤١ .
(٢) صحيح مسلم مع شرح النووى - جـ ١٦ - صـ ١٤٧

اللهم إلعنها قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة " (١).

ويقول النووى : إعلم أن هذا الحديث قد يستشكل معناه ، ولا إشكال فيه بل المراد النهى أن تصاحبهم تلك الناقة ، وليس فيه نهى عن بيعها وذبحها وركوبها فى غير صحبة النبى صلى الله عليه وسلم بل كل ذلك وما سواه من التصرفات جائز لا منع منه إلا من مصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم بها ، لأن هذه التصرفات كلها كانت جائزة فمنع بعض منها ، فبقى الباقى على ما كان " (٢)

هذا ، وليعلم اللاعن غيره أنه متحمل وزراً على هذا اللعن ومتسبب فى ضرر نفسه ذلك أن الشيىء الذى لعنه إن لم يكن أهلاً للعنة رجعت اللعنة إلى قائلها .

روى أبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلىَ السماء ، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تجد مساغاً (أى مدخلاً وطريقاً) رجعت إلى الذى لعن ، فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها " (٣)

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٤٨ .

(٢) شرح النووى على مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٤٨ .

(٣) سنن أبى داود - جـ ٧ - صـ ٢٢٨ .

Scanned with CamScanner

كذلك ورد النهى عن سب الديك فإنه يريد المسلم حيث يصيح بصوت عال إذا حان وقت الصلاة ليوقظ النائم ، فيكون بذلك متسبباً فى أن المسلم يصلى الصلاة فى أول وقتها .

روى أبو داود فى سننه بسنده عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة (١) .

كما ورد أن الديكة تصيح إذا رأت ملكاً ويندب عندئذ الدعاء، كما أن الحمير تنهق إذا رأت شيطاناً ، ويندب حينئذ أن يتعوذ المسلم بالله من الشيطان .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله تعالى من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً " (٢)

وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمر بالليل فتعوذوا بالله فإنهن يرين مالا ترون " (٣)

---

(١) سنن أبى داود - جـ ٨ - صـ ٧ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ١٧ - صـ ٤٧ .

(٣) سنن أبى داود - جـ ٨ - صـ ٧ .

Scanned with CamScanner

## تاسعاً: نهى الإسلام عن سب المرض

قد أرسل الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين : هدى الله به الضلال وعلم الجهلاء ، ووسع به على الفقراء وألف به بين قلوب الأعداء ، ومما كانوا فيه على خطأ وأرشدهم إلى الصواب ، وعلى جهل وعلمهم ما ينفعهم فى الدنيا ويوم المآب سبهم أشياء خلقها الله بقدرته ، وإبتلاهم بها بحكمته، وجعل لهم فيها نصيباً من رحمته . منها المرض الذى يذهب الله به خطايا بنى آدم ويكفر عنهم من سيئاتهم ولكن الإنسان تحت تأثير ألم المرض ، وشدة وطأته عليه يغفل عن هذا فيسب المرض ويدعو عليه .

وقد حدث هذا من إحدى نساء الأنصار عندما أصابتها الحمى فجعلت ترتعد وتهتز إهتزازاً سريعاً . وذهب النبى صلى الله عليه وسلم يعودها فسمعها تسب الحمى فنهاها عن ذلك وبين لها أنها تذهب خطايا بنى آدم .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفرفين (أى تتحركين حركة سريعة) قالت : الحمى . لا بارك الله فيها ، فقال: لا تسبى الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد" (١).

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٣١ .

Scanned with CamScanner

والكير : منفاخ الحداد ينفخ به على النار فتزداد اشتعالا .

وليست الحمى وحدها التى تكفر بها الخطايا وإنما كل ما يصيب
المسلم من مرض أو ألم أو بلاء أو حزن أو هم فإنه تكفر به م
سيئاته .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد وأبى هريرة
رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم
يهمه إلا كفر به من سيئاته . (١)

والوصب : الوجع اللازم ، والنصب : التعب ، والسقم
المرض بل أن من الأحاديث ما يفيد أن المؤمن الذى يصاب بإ
هذه الأمور يكتب له حسنات وتمحى عنه سيئات " .

روى مسلم عن الأسود قال : دخل شباب من قريش على
عائشة رضى الله عنها وهى بمنى وهم يضحكون ، فقالت
يضحككم ؟ قالوا : فلان خر على طنب فسطاط (أى سقط على الع
الذى تشد به الخيمة ونحوها) فكادت عنقه أو عينه أن تذهب : فقال
لا تضحكوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت ع
بها خطيئة " (٢)

كما دل حديث المرأة التى كانت مصابة بالصرع على
الصرع يثاب عليه ثواب كبير ألا وهو الجنة (والصرع تشنج ل

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٣٠ .

(٢) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٢٧ ، ١٢٨ .

Scanned with CamScanner

الأعضاء لا يبقى الشخص معه منتصباً ، بل يسقط ويقذف بالزبد من فمه) .

روى البخارى فى صحيحه عن عطاء بن أبى رباح قال : قال إبن عباس - رضى الله عنهما - ألا أريك إمرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى قال : هذه المرأة السوداء : أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إنى أصرع وإنى أتكشف ( والتكشف : إنكشاف العورة أثناء الصرع من غير أن يشعر الإنسان) فادع الله لى ، قال : إنْ شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت : أصبر، قالت : فإنى أتكشف فإدع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها " [١]. وقد رواه مسلم أيضاً .

وقال النووى فى شرحه على مسلم مشيراً للأحاديث السابقة وغيرها مما هو فى معناها : فى هذه الأحاديث بشارة عظيمة للمسلمين ، فإنه قلما ينفك الواحد منهم ساعة من شىء من هذه الأمور وفيها تكفير الخطايا بالأمراض والأسقام ومصايب الدنيا وهمومها وإن قلت مشقتها ، وفيها رفع الدرجات بهذه الأمور وزيادة الحسنات وهذا هو الصحيح الذى عليه جماهير العلماء .[٢]

وهذه الأمراض والآلام والأحزان قد أصيب بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهى بالنسبة لهم تكون لرفع الدرجة إذ ليس لهم ذنوب تغفر بهذه الأشياء - ولقد مرض نبينا صلى الله عليه وسلم وإشتدت عليه وطأة الحمى وألمها .

---

(١) صحيح البخارى - جـ ١٠ - صـ ١١٤ .

(٢) شرح النووى على مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٢٨ .

Scanned with CamScanner

روى مسلم عن عبد الله قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك (والوعك : الحمى والمها) فمسسته بيدي فقلت : يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً فقال رسول الله : إني أوعك كما يوعك رجلان منكم ، قال : فقلت : ذلك أن لك أجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل ثم قال رسول الله : ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها " (١).

وليس معنى هذا أن المسلم يترك الأخذ بأسباب الشفاء أو يسلم نفسه للآلام والهموم ، وإنما على المسلم أن يتداوى بما يحل التداوي به ، وأن يسعى للخلاص من الآلام والهموم فقد قال صلى الله عليه وسلم "تداووا يا عباد الله ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحداً الهرم " رواه الأئمة أحمد والبخارى (٢) وغيرهما ويكون المؤمن بهذا مأجوراً أولاً على إصابته بالمرض أو البلاء ومأجوراً ثانياً على أخذه بأسباب الخلاص منها .

هذا وبالله التوفيق ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) صحيح مسلم - جـ ١٦ - صـ ١٢٧ .

(٢) صحيح البخارى وفتح البارى - جـ ١٠ - صـ ١٣٤ ، ١٣٥ .

Scanned with CamScanner

# موضوعات البحث

الأول : حرمة سب المسلم بما ليس فيه

الثانى : سب المسلم بما هو فيه

الثالث : ما ينبغى أن يكون عليه المسبوب

الرابع : سب نبينا صلى الله عليه وسلم - على أى وجه يحمل

الخامس : تحذير الإسلام من سب الأموات عامة والصحابة خاصة

السادس : نهى الإسلام عن سب الدهر

السابع : نهى الإسلام عن سب الريح

الثامن : حرمة سب ولعن الحيوان

التاسع : نهى الإسلام عن سب المرض

Scanned with CamScanner

# مصادر البحث


١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن . لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ت ٦٧١هـ .

٣ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ت ٧٠١هـ .

٤ ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلى بن محمد بن إبراهيم ـ المعروف بالخازن .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ .

٦ ـ فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكانى ت١٢٥٠هـ

٧ ـ تفسير المراغى . لمحمد مصطفى المراغى

٨ ـ صحيح البخارى لأبى عبد الله البخارى


Scanned with CamScanner

٩ ـ صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج

١٠ ـ سنن أبى داود أبو داود السجستانى

١١ ـ شرح النووى على صحيح مسلم النووى

١٢ ـ فتح البارِى شرح صحيح البخارى إبن حجر العسقلا

١٣ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر إبن الأثير الجزر

١٤ ـ مختار الصحاح الرازى

Scanned with CamScanner